سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ تقدم. ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ تقدم أيضا. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني القيامة، في قول ابن عباس وغيره. وهو الأجل الذي تنتهي إليه السموات والأرض. وقيل: إنه هو الأجل المقدور لكل مخلوق. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾ خُوفوه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ مولون لاهون غير مستعدين له، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، أي عن إنذارهم ذلك اليوم.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ ﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي ما تعبدون من الأصنام والأنداد من دون الله. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾ أي هل خلقوا شيئا من الأرض ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي نصيب ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي في خلق السموات مع الله. ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾ أي من قبل هذا القرآن.

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قراءة العامة ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ بألف بعد الثاء. قال ابن عباس عن النبي ﷺ: «هو خط كانت تخطه العرب في الأرض» (١)، ذكره المهدوي والثعلبي. وقال ابن العربي: ولم يصح. وفي مشهور الحديث عن النبي ﷺ قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك»(٢) ولم يصح أيضا.

قلت: هو ثابت من حديث معاوية بن الحكم السلمي، خرجه مسلم. وأسند النحاس: حدثنا محمد بن أحمد يعرف بالجرايجي قال: حدثنا محمد بن بندار قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قال: «الخط» (٣) وهذا صحيح أيضا. قال ابن العربي: واختلفوا في تأويله، فمنهم من

---

(١) ضعيف موقوف: الطبري (٢٦/ ٥) في تفسيره، عن ابن عباس موقوفًا، وفيه بشير بن آدم فيه لين.
وذكره الحاكم من طريق الشعبي، عن ابن عباس وفيه انقطاع.

(٢) صحيح: مسلم (٥٣٧) في المساجد ضمن حديث معاوية بن الحكم السُّلمي ـ رضي الله عنه، وفيه قصة.

(٣) صحيح: الهيثمي (١/ ٩٢) في المجمع، وقال: «رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح».

قال: جاء لإباحة الضرب، لأن بعض الأنبياء كان يفعل. ومنهم من قال جاء للنهي عنه، لأنه ﷺ قال: «فمن وافق خطه فذاك». ولا سبيل إلى معرفة طريق النهي المتقدم فيه، فإذا لا سبيل إلى العمل به. قال:

لَعَمْرُكَ ما تدري الضَّوارِبُ بالحصا ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صَانِعُ

وحقيقته عند أربابه ترجع إلى صور الكواكب، فيدل ما يخرج منها على ما تدل عليه تلك الكواكب من سعد أو نحس يحل بهم، فصار ظنا مبنيا على ظن، وتعلقا بأمر غائب قد درست طريقه وفات تحقيقه، وقد نهت الشريعة عنه، وأخبرت أن ذلك مما اختص الله به، وقطعه عن الخلق، وإن كانت لهم قبل ذلك أسباب يتعلقون بها في درك الأشياء المغيبة، فإن الله قد رفع تلك الأسباب وطمس تلك الأبواب وأفرد نفسه بعلم الغيب، فلا يجوز مزاحمته في ذلك، ولا يحل لأحد دعواه، وطلبه عناء لو لم يكن فيه نهي، فإذ وقد ورد النهي، فطلبه معصية أو كفر بحسب قصد الطالب.

قلت: ما أختاره هو قول الخطابي. قال الخطابي: قوله عليه السلام: «فمن وافق خطه فذاك» هذا يحتمل الزجر إذ كان ذلك علما لنبوته وقد انقطعت، فنهينا عن التعاطي لذلك. قال القاضي عياض: الأظهر من اللفظ خلاف هذا، وتصويب خط من يوافق خطه، لكن من أين تعلم الموافقة والشرع منع من التخرص وادعاء الغيب جملة ، فإنما معناه أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته، لا أنه يريد إباحة ذلك لفاعله على ما تأوله بعضهم. وحكى مكي في تفسير قوله: «كان نبي من الأنبياء يخط» أنه كان يخط بأصبعه السبابة والوسطى في الرمل ثم يزجر. وقال ابن عباس في تفسير قوله «ومنا رجال يخطون»: هو الخط الذي يخطه الحازي [1] فيعطى حلوانا فيقول: اقعد حتى أخط لك، وبين يدي الحازي غلام معه ميل ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط الأستاذ خطوطا معجلة لئلا يلحقها العدد، ثم يرجع فيمحو على مهل خطين خطين، فإن بقي خطان فهو علامة النجح، وإن بقي خط فهو علامة الخيبة. والعرب تسميه الأسحم وهو مشؤوم عندهم.

الثالثة : قال ابن العربي: إن الله تعالى لم يبق من الأسباب الدالة على الغيب التي أذن في التعلق بها والاستدلال منها إلا الرؤيا، فإنه أذن فيها، وأخبر أنها جزء من النبوة وكذلك الفأل، وأما الطيرة والزجر فإنه نهى عنهما. والفأل: هو الاستدلال بما يسمع من الكلام على ما يريد من الأمر إذا كان حسنا، فإذا سمع مكروها فهو تطير، أمره الشرع بأن يفرح بالفأل ويمضى على أمره مسرورا. وإذا سمع المكروه أعرض عنه ولم يرجع لأجله، وقد قال النبي ﷺ: «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك» [2]. وقد روى بعض الأدباء:

الفألُ والزَّجْرُ والكهانُ كُلهم مُضَلِّلون ودُونَ الغيبِ أقفالُ

وهذا كلام صحيح إلا في الفأل، فإن الشرع استثناه وأمر به، فلا يقبل من هذا الشاعر ما نظمه فيه، فإنه تكلم بجهل، وصاحب الشرع أصدق وأعلم وأحكم.

---

(١) الحازي : الكاهن . اللسان «حزا» .

(٢) رواه الهيثمي (٥/ ١٠٥) في المجمع وعزاه لأحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديث حسن ، وفيه ضعيف ، وبقية رجاله ثقات .

قلت: قد مضى في الطيـرة والفأل وفي الفرق بينهما ما يكفي في «المائدة» وغـيرها. ومضى في «الأنعام» أن الله سبحانه منفرد بعلم الغيب، وأن أحدا لا يعلم ذلك إلا ما أعلمه الله، أو يجعل على ذلك دلالة عادية يعلم بها مـا يكون على جري العادة، وقد يختلف. مـثاله إذا رأى نخلة قد أطلعت فإنه يعلم أنها ستثمر، وإذا رآها قد تناثر طلعهـا علم أنها لا تثمر. وقد يجوز أن يأتي عليها آفة تهلك ثمرها فلا تثمر، كما أنه جائز أن تكون النخلة التي تناثر طلعها يطلع الله فيها طلعا ثانيا فتثمر. وكما أنه جائز أيضا ألا يلي شهره شهر ولا يومه يوم إذا أراد الله إفناء العالم ذلك الوقت. إلى غير ذلك مما تقدم في «الأنعام» بيانه.

الرابعة: قال ابن خُوَيز منداد: قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ يريد الخط. وقد كان مالك ـ رحمه الله يحكم بالخط إذا عرف الشاهد خطه. وإذا عرف الحـاكم خطه أو خط من كتب إليه حكم به، ثم رجع عن ذلك حين ظهر في الناس ما ظهر من الحيل والتزوير. وقد روي عنه أنه قال: يُحدِث الناس فجورا فتحدث لهم أقضية. فـأما إذا شهد الشهود على الخط المحكوم به، مثل أن يشهدوا أن هذا خط الحاكم وكـتابه، أشهدنا على مـا فيه وإن لم يعلمـوا ما في الكتاب. وكذلك الوصـية أو خط الرجل باعترافه بمال لغيره يشهدون أنـه خطه ونحو ذلك - فلا يختلف مذهبه أن يحكم به. وقيل: ﴿أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أو بقية مـن علم، قاله ابن عباس والكلبي وأبو بكر بـن عياش(١) وغيرهم. وفـي الصحاح: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ بقية منه. وكذلك الأثرة بالتحريك ويـقال: سمنت الإبل على أثارة، أي بقية شحم كان قبل ذلك. وأنشد الماوردي والثعلبي قول الراعي:

وذاتِ أثارةٍ أكلتْ عليها ... نباتاً في أكِمَّته ففارا

وقال الهروي: والأثارة والأَثر: البقـية، يقال: ما ثم عين ولا أثر. وقال ميـمون بن مهران وأبو سلمة بن عبدالرحمن وقتادة﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ خاصة من علم(٢). وقال مجاهد: رواية تأثرونها عمن كان قـبلكم(٣). وقال عكرمـة ومقاتل: رواية عن الأنبـياء(٤). وقال القـرظي: هو الإسناد(٥). الحسن: المعنى شـيء يثار أو يستـخرج(٦). وقال الزجاج: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ أي علامة. والأثـارة مصدر كالسـماحة والشجـاعة. وأصل الكلمة من الأثر، وهي الرواية، يقـال: أثرت الحديث آثره أثرا وأثارة وأثرة فـأنا آثر، إذا ذكرته عـن غيـرك. ومنه قيـل: حديث مـأثور، أي نقله خلف عن سلف. قـال الأعشى:

إن الذي فيه تَمَارَيْتُمَا ... بُيِّن للسَّامِعِ والآثِرِ

ويروى «بيَّن» وقرئ «أو أثرة» بضم الهمزة وسكون الثـاء. ويجوز أن يكون معناه بقية من علم. ويجوز أن يكـون معناه شيـئا مـأثورا من كتب الأولين. والمأثور: مـا يتحدث به مما صح سـنده عمن تحدث به عنه. وقرأ السلمي والحسن وأبو رجاء بفتح الهـمزة والثاء من غير ألف، أي خاصة من علم

(١) رواه الطبري (٢٦/ ٥) في تفسيره عن أبي بكر بن عياش، وعن ابن عباس من طريق العوفيين واختاره الطبري أنه بقية من علم.

(٢ـ ٦) صحيح إلى قتادة ومـجاهد والحسن كما في تفسير الطبري (٢٦/ ٥)، وباقي الأقوال غـير مسندة كما في زاد المسير (٥/ ٣٥٩) لابن الجوزي وفتح القدير (٦/ ٤٥٣) للشوكاني.

أوتيتـموها أو أوثرتم بها على غيـركم. وروي عن الحسن أيضا وطائفـة «أثْرة» مفتوحـة الألف ساكنة الثاء، ذكر الأولى الثـعلبي والثانية الماوردي. وحكى الثعلبي عن عكرمـة: أو ميراث علم. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ فيه بيان مسالك الأدلة بأسرها، فأولها المعقول، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ وهو احتجـاج بدليل العقل في أن الجماد لا يصح أن يدعى من دون الـله فإنه لا يضر ولا ينفع. ثم قال: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾ فيه بيان أدلة السمع ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي لا أحد أضل وأجهل ﴿مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهي الأوثان. ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ يعني لا يسمعون ولا يفهمون، فأخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني آدم، إذ قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تُخدم.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ يريد يوم القيامة. ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي هؤلاء المعبودون أعداء الكفار يوم القيامة. فالملائكة أعداء الكفار، والجن والشياطين يتبرؤون غدا من عبدتهم، ويلعن بعضهم بعضا. ويجوز أن تكون الأصنام للكفار الذين عبدوهـا أعداء، على تقدير خلق الحياة لها، دليله قوله تعالى: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]. وقيل: عادوا معـبوداتهم لأنهم كانوا سبب هلاكهم، وجحد المعبودون عبادتهم، وهو قوله ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ يعني القرآن. ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ الميم صلة، التقـدير: أيقولون افتـراه، أي تَقَوَّله محـمد. وهو إضراب عن ذكر تسـميتهم الآيات سحرا. ومـعنى الهمزة في ﴿أَمْ﴾ الإنكار والتعجب، كأنه قال: دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب. وذلك أن محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله، ولو قدر عليه دون أمة العـرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العـادة، وإذا كانت معجزة كانت تصـديقا من الله له، والحكيم لا يصـدق الكاذب فلا يكون مفـتريا، والضمـير للحق، والمراد به

الآيات. ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ على سبيل الفرض. ﴿فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لا تقدرون على أن تردوا عني عذاب الله، فكيف أفتري على الله لأجلكم. ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تقولونه، عن مجاهد. وقيل: تخوضون فيه من التكذيب. والإفاضة في الشيء: الخوض فيه والاندفاع. أفاضوا في الحديث أي اندفعوا فيه. وأفاض البعير أي دفع جرته من كرشه فأخرجها، ومنه قول الشاعر:

وأفضن بعد كُظُومِهِنّ بجرّة

وأفاض الناس من عرفات إلى منى أي دفعوا، وكل دفعة إفاضة. ﴿كَفَى بِهِ شَهِيدًا﴾ نصب على التمييز. ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي هو يعلم صدقي وأنكم مبطلون. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أي أول من أرسل، قد كان قبلي رسل، عن ابن عباس وغيره. والبدع: الأول. وقرأ عكرمة وغيره «بِدَعًا» بفتح الدال، على تقدير حذف المضاف، والمعنى: ما كنت صاحب بدع. وقيل: بدع وبديع بمعنى، مثل نصف ونصيف. وأبدع الشاعر: جاء بالبديع. وشيء بدع بالكسر أي مبتدع. وفلان بدع في هذا الأمر أي بديع. وقوم أبداع، عن الأخفش. وأنشد قطرب قول عدي بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادثَ تعتري رجالاً غَدَت من بعد بؤسي بأسعدَ

﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ يريد يوم القيامة. ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا، وأنه لا فضل له علينا، ولو لا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فنزلت ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] فنسخت هذه الآية [(١)]، وأرغم الله أنف الكفار. وقالت الصحابة: هنيئا لك يا رسول الله، لقد بين الله لك ما يفعل بك يا رسول الله، فليت شعرنا ما هو فاعل بنا؟ فنزلت ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥] الآية. ونزلت ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [(٢)] [الاحزاب: ٤٧]. قاله أنس وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك. وقالت أم العلاء امرأة من الأنصار: اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون بن حذافة بن جمح، فأنزلناه أبياتنا فتوفي، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب إن الله أكرمك. فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه» ؟ فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله فمن؟ قال: «أما هو فقد جاءه اليقين وما رأينا إلا خيرا فوالله إني لأرجو له الجنة ووالله إني لرسول الله وما أدري ما يفعل بي ولا بكم». قالت: فوالله لا أزكي بعده أحدا أبدا [(٣)]. ذكره الثعلبي، وقال: وإنما قال هذا حين لم يعلم بغفران ذنبه، وإنما غفر الله له ذنبه في غزوة الحديبية قبل موته بأربع سنين.

---

(١) دعوى النسخ هنا لا تصح، وبه قال ابن النحاس كما سيأتي.

(٢) ضعيف: وسيأتي.

(٣) صحيح: البخاري (١٢٤٣) في الجنائز، و(٢٦٨٧) في الشهادات.

قلت: حديث أم العـلاء خرجه البخاري، وروايـتي فيه﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي﴾ ليس فيه ﴿بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وهو الصـحيح إن شاء اللـه، على ما يأتي بيـانه. والآية ليست منسـوخة، لأنهـا خبـر. قال النحاس: مـحال أن يكون في هذا ناسخ ولا منسوخ من جهـتين: أحدهما أنه خبـر، والآخر أنه من أول السورة إلى هذا الموضع خطاب للمـشركين واحتجاج عليـهم وتوبيخ لهم، فوجب أن يكون هذا أيضا خطابا للمشـركين كما كان قبلـه وما بعده، ومحال أن يقـول النبي ﷺ للمشركين ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الآخرة، ولم يـزل ﷺ من أول مبعـثه إلى مماته يخـبر أن من مات علـى الكفر مخلد في النار، ومن مات على الإيمان واتبعه وأطاعه فـهو في الجنة، فقد رأى ﷺ ما يفعل به وبهم في الآخرة. وليـس يجوز أن يقول لهم مـا أدري ما يفـعل بي ولا بكم في الآخرة، فـيقـولون كيف نتبعك وأنت لا تدري أتصير إلى خفض ودعة أم إلى عذاب وعقاب؟!

والصحيح في الآية قول الحسن [١]، كما قرأ علي بن محمد بن جعفر بن حفص عن يوسف بن موسى قـال حدثنا وكيع قـال حدثنا أبو بكر الهذلـي عن الحسن «وما أدري مـا يفعل بي ولا بكم في الدنيا» [٢] قال أبو جعفر: وهذا أصح قول وأحسنه، لا يدري ﷺ ما يلحقه وإياهم من مرض وصحة ورخص وغلاء وغنى وفقر. ومثله ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وذكر الواحدي وغـيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبـاس: لما اشتد البلاء بأصحـاب رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخـل وشجر وماء، فقـصها على أصحابه فاستبشروا بذلك، ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقـالوا: يا رسول الله، متى نهـاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكـت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ أي لا أدري أأخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا. ثم قال: «إنما هو شيء رأيتـه في منامي ما أتبع إلا مـا يوحى إلي» أي لم يوح إلي ما أخـبرتكم به [٣]. قـال القشـيري: فـعلى هذا لا نسخ في الآية. وقـيل: المعنى لا أدري مـا يفـرض علي وعليكم من الفرائض. واختار الطبري أن يكون المعنى: ما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا، أتؤمنون أم تكفرون، أم تعاجلون بالعذاب أم تؤخرون.

قلت: وهو معنى قول الحسن والسدي وغيرهما. قال الحسن [٤]: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أما في الآخرة فمعاذ الله قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: ما أدري ما يفعل بي في الدنيا أأخرج كما أخرجت الأنبيـاء قبلي، أو أقتل كما قتلت الأنبياء قبلي، ولا أدري ما يفعل بكم، أأمتي المصدقة أم المكذبة، أم أمتي المرمية بالحـجارة من السماء قذفا، أو مخسوف بها خسفا، ثم نزلت ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]. يقول: سيظهر دينه على الأديان. ثم قـال في أمته: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] فأخبره

---

(١) ذكره ابن الجوزي (٥/ ٣٦٠) في زاد المسير.

(٢) **ضعيف جدًا**: أبو بكر الهذلي ضعيف، ورواه الطبري (٢٦/ ٩) في تفسيره.

(٣) **ضعيف جدًا**: الواحدي (ص٣٢١) في أسباب النزول، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما.

(٤) **مرسل**: وقد سبق.

تعالى بما يصنع به وبأمته، ولا نسخ على هذا كله، والحمد لله. وقال الضحاك أيضا : ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ أي ما تؤمرون به وتنهون عنه. وقيل: أمر النبي ﷺ أن يقول للمؤمنين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في القيامة، ثم بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وبين فيما بعد ذلك حال المؤمنين ثم بين حال الكافرين.

قلت: وهذا معنى القول الأول، إلا أنه أطلق فيه النسخ بمعنى البيان، وأنه أمر أن يقول ذلك للمؤمنين، والصحيح ما ذكرناه عن الحسن وغيره. و﴿مَا﴾ في ﴿مَا يُفْعَلُ﴾ يجوز أن تكون موصولة، وأن تكون استفهامية مرفوعة. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وقرئ «يُوحِي» أي الله عز وجل. تقدم في غير موضع.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن. ﴿وَكَفَرْتُم بِهِ﴾ قال الشعبي: المراد محمد ﷺ. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد [١]: هو عبدالله ابن سلام، شهد على اليهود أن رسول الله ﷺ مذكور في التوراة، وأنه نبي من عند الله. وفي الترمذي عنه: ونزلت فيَّ آيات من كتاب الله، نزلت فيَّ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٢]. وقد تقدم في آخر سورة «الرعد».

وقال مسروق: هو موسى والتوراة، لا ابن سلام؛ لأنه أسلم بالمدينة والسورة مكية. وقال: وقوله: ﴿وَكَفَرْتُم بِهِ﴾ مخاطبة لقريش. الشعبي: هو من آمن من بني إسرائيل بموسى والتوراة، لأن ابن سلام إنما أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بعامين، والسورة مكية.

قال القشيري: ومن قال الشاهد موسى قال السورة مكية [٣]، وأسلم ابن سلام قبل موت النبي ﷺ بعامين. ويجوز أن تكون الآية نزلت بالمدينة وتوضع في سورة مكية، فإن الآية كانت تنزل فيقول النبي ﷺ: «ضعوها في سورة كذا». والآية في محاجة المشركين، ووجه الحجة أنهم كانوا يراجعون اليهود في أشياء، أي شهادتهم لهم وشهادة نبيهم لي من أوضح الحجج. ولا يبعد أن تكون السورة في محاجة اليهود، ولما جاء ابن سلام مسلما من قبل أن تعلم اليهود بإسلامه قال: يا رسول الله، اجعلني حكما بينك وبين اليهود، فسألهم عنه: «أي رجل هو فيكم؟» قالوا: سيدنا وعالمنا. فقال: «إنه قد آمن بي» فأساؤوا القول فيه، الحديث [٤]، وقد تقدم.

قال ابن عباس: رضيت اليهود بحكم ابن سلام، وقالت للنبي ﷺ إن يشهد لك آمنا بك، فسئل فشهد ثم أسلم. ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي على مثل ما جئتكم به، فشهد موسى على التوراة ومحمد على

---

(١) الأقوال صحاح إلى أصحابها ، غير أنه روى عن ابن عباس من طريق العوفيين ، كما عند الطبري (٢٦/ ١٢).

(٢) ضعيف : الترمذي (٣٢٥٦) في تفسير القرآن وضعفه الألباني هناك .

(٣) مرسل صحيح : الطبري (٢٦/ ١١) في تفسيره .

(٤) صحيح : و قد سبق .

القرآن.

وقال الجرجاني. «مثل» صلة، أي وشهد شاهد عليه أنه من عند الله. ﴿فَآمَنَ﴾ أي هذا الشاهد. ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أنتم عن الإيمان. وجواب ﴿إِن كَانَ﴾ محذوف تقديره: فآمن أتؤمنون، قاله الزجاج. وقيل: ﴿فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أليس قد ظلمتم، يبينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقيل: ﴿فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أفتأمنون عذاب الله. و﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ لفظ موضوع للسؤال والاستفهام، ولذلك لا يقتضي مفعولا.

وحكى النقاش وغيره: أن في الآية تقديما وتأخيرا، وتقديره: قل أرأيتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بني إسرائيل فآمن هو وكفرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ اختلف في سبب نزولها على ستة أقوال:

الأول: أن أبا ذر الغفاري دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام بمكة فأجاب، واستجار به قومه فأتاه زعيمهم فأسلم، ثم دعاهم الزعيم فأسلموا، فبلغ ذلك قريشا فقالوا: غفار الحلفاء لو كان هذا خيرا ما سبقونا إليه، فنزلت هذه الآية؛ قاله أبو المتوكل (١).

الثاني: أن زنيرة أسلمت فأصيب بصرها فقالوا لها: أصابك اللات والعزى، فرد الله عليها بصرها. فقال عظماء قريش: لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا إليه زنيرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، قاله عروة بن الزبير (٢).

الثالث: أن الذين كفروا هم بنو عامر وغطفان وتميم وأسد وحنظلة وأشجع قالوا لمن أسلم من غفار وأسلم وجهينة ومزينة وخزاعة: لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا إليه رعاة البهم إذ نحن أعز منهم، قاله الكلبي والزجاج، وحكاه القشيري عن ابن عباس (٣).

وقال قتادة: نزلت في مشركي قريش، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمد خيرا ما سبقنا إليه بلال وصهيب وعمار وفلان وفلان، وهو القول الرابع.

القول الخامس: أن الذين كفروا من اليهود قالوا للذين آمنوا يعني عبد الله بن سلام وأصحابه: لو كان دين محمد حقا ما سبقونا إليه، قاله أكثر المفسرين (٤)، حكاه الثعلبي.

وقال مسروق: إن الكفار قالوا لو كان خيرا ما سبقتنا إليه اليهود، فنزلت هذه الآية.

وهذه المعارضة من الكفار في قولهم: لو كان خيرا ما سبقونا إليه من أكبر المعارضات بانقلابها عليهم لكل من خالفهم، حتى يقال لهم: لو كان ما أنتم عليه خيرا ما عدلنا عنه، ولو كان تكذيبكم

(١، ٢) مرسلان: وذكر السيوطي الأول عن عون بن أبي شداد مرسلاً كما في الدر المنثور (٦/ ٨).

(٣) ضعيف: عزاه ابن الجوزي (٥/ ٣٦٢) في زاد المسير إلى الكلبي وهو ضعيف.

(٤) معضل: السابق (٥/ ٣٦٢) وعزاه لأبي سليمان الدمشقي.

للرسول خيرا ما سبقتمونا إليه، ذكره الماوردي. ثم قيل: قوله: ﴿مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ يجوز أن يكون من قول الكفار لبعض المؤمنين، ويجوز أن يكون على الخروج من الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]. ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ يعني الإيمان. وقيل القرآن. وقيل محمد ﷺ. ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي لما لم يصيبوا الهدى بالقرآن ولا بمن جاء به عادوه ونسبوه إلى الكذب، وقالوا هذا إفك قديم، كما قالوا: أساطير الأولين وقيل: لبعضهم: هل في القرآن: من جهل شيئا عاداه؟ فقال: نعم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ ومثله ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩].

﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ أي ومن قبل القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ أي التوراة ﴿إِمَامًا﴾ يقتدى بما فيه. و﴿إِمَامًا﴾ نصب على الحال، لأن المعنى: وتقدمه كتاب موسى إماما. ﴿وَرَحْمَةً﴾ معطوف عليه. وقيل: انتصب بإضمار فعل، أي أنزلناه إماما ورحمة.

وقال الأخفش: على القطع، لأن كتاب موسى معرفة بالإضافة، لأن النكرة إذا أعيدت أو أضيفت أو أدخل عليها ألف ولام صارت معرفة. ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ﴾ يعني القرآن ﴿مُّصَدِّقٌ﴾ يعني للتوراة ولما قبله من الكتب. وقيل: مصدق للنبي ﷺ. ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوب على الحال، أي مصدق لما قبله عربيا، و﴿لِّسَانًا﴾ توطئة للحال أي تأكيد، كقولهم: جاءني زيد رجلا صالحا، فتذكر رجلا توكيدا.

وقيل: نصب بإضمار فعل تقديره: وهذا كتاب مصدق أعني لسانا عربيا. وقيل: نصب بإسقاط حرف الخفض تقديره: بلسان عربي. وقيل: إن لسانا مفعول والمراد به النبي ﷺ، أي وهذا كتاب مصدق للنبي ﷺ لأنه معجزته، والتقدير: مصدق ذا لسان عربي. فاللسان منصوب بمصدق، وهو النبي ﷺ. ويبعد أن يكون اللسان القرآن، لأن المعنى يكون يصدق نفسه. ﴿لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قراءة العامة ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء خبر عن الكتاب، أي لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية. وقيل: هو خبر عن الرسول ﷺ. وقرأ نافع وابن عامر والبزي بالتاء [1]، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، على خطاب النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]. ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿بُشْرَىٰ﴾ في موضع رفع، أي وهو بشرى. وقيل: عطفا على الكتاب، أي وهذا كتاب مصدق وبشرى. ويجوز أن يكون منصوبا بإسقاط حرف الخفض، أي لينذر الذين ظلموا وللبشرى، فلما حذف الخافض نصب. وقيل: على المصدر، أي وتبشر المحسنين بشرى، فلما جعل مكان وتبشر بشرى أو بشارة نصب، كما تقول: أتيتك لأزورك، وكرامة لك وقضاء لحقك، يعني لأزورك وأكرمك وأقضي حقك، فنصب الكرامة بفعل مضمر.

(١) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٧٣) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ الآية تقدم معناها. وقال ابن عباس: نزلت في أبي بكر الصديق [١]. والآية تعم. ﴿جَزَاءً﴾ نصب على المصدر.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ بين اختلاف حال الإنسان مع أبويه، فقد يطيعهما وقد يخالفهما، أي فلا يبعد مثل هذا في حق النبي ﷺ وقومه حتى يستجيب له البعض ويكفر البعض. فهذا وجه اتصال الكلام بعضه ببعض، قاله القشيري.

الثانية: قوله تعالى: «حسنا» قراءة العامة «حُسناً» [٢] وكذا هو في مصاحف أهل الحرمين البصرة والشام. وقرأ ابن عباس والكوفيون ﴿إِحْسَانًا﴾ وحجتهم قوله تعالى في سورة الأنعام وبني إسرائيل ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١] وكذا هو في مصاحف الكوفة. وحجة القراءة الأولى قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] ولم يختلفوا فيها. والحسن خلاف القبح. والإحسان خلاف الإساءة. والتوصية الأمر. وقد مضى القول في هذا وفيمن نزلت.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي بكره ومشقة. وقراءة العامة بفتح الكاف. واختاره أبو عبيد، قال: وكذلك لفظ الكره في كل القرآن بالفتح إلا التي في سورة البقرة ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] أن ذلك اسم وهذه كلها مصادر. وقرأ الكوفيون ﴿كُرْهًا﴾ بالضم. قيل: هما لغتان مثل الضَّعف والضُّعف والشَّهد والشُّهد، قاله الكسائي، وكذلك هو عند جميع البصريين. وقال الكسائي أيضا والفراء في الفرق بينهما: إن الكره بالضم ما حمل الإنسان على نفسه، وبالفتح ما حمل على غيره، أي قهرا وغصبا، ولهذا قال بعض أهل العربية إن كرها بفتح الكاف لحن.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ قال ابن عباس: إذا حملت تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهرا، وإن حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا. وروي أن عثمان قد أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فأراد أن يقضي عليها بالحد، فقال له علي رضي الله عنه: ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالرضاع أربعة وعشرون شهرا والحمل ستة أشهر، فرجع عثمان

(١) ضعيف: السيوطي (٦/ ٨) في الدر المنثور وعزاه لابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس به.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٣).

عن قوله ولم يحدها. وقد مضى في «البقرة». وقيل: لم يعد ثلاثة أشهر في ابتداء الحمل، لأن الولد فيها نطفة وعلقة ومضغة فلا يكون له ثقل يحس به، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٩]. والفصال الفطام. وقد تقدم في «لقمان» الكلام فيه. وقرأ الحسن ويعقوب وغيرهما «وفصله» بفتح الفاء وسكون الصاد [١]. وروي أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق؛ وكان حمله وفصاله في ثلاثين شهرا، حملته أمه تسعة أشهر وأرضعته إحدى وعشرين شهرا. وفي الكلام إضمار، أي ومدة حمله ومدة فصاله ثلاثون شهرا، ولولا هذا الإضمار لنصب ﴿ثَلاثُونَ﴾ على الظرف وتغير المعنى.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال ابن عباس: ثماني عشرة سنة. وقال في رواية عطاء عنه: إن أبا بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام للتجارة، فنزلوا منزلا فيه سدرة، فقعد النبي ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك فسأله عن الدين. فقال الراهب: من الرجل الذي في ظل الشجرة؟ فقال: ذاك محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب. فقال: هذا والله نبي، وما استظل أحد تحتها بعد عيسى. فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، وكان لا يكاد يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضره. فلما نبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، صدق أبو بكر رضى الله عنه رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة. فلما بلغ أربعين سنة قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [٢] الآية. وقال الشعبي وابن زيد: الأشد الحلم [٣]. وقال الحسن: هو بلوغ الأربعين [٤]. وعنه قيام الحجة عليه. وقد مضى في «الأنعام» الكلام في الآية. وقال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص [٥]. وقد تقدم. وقال الحسن: هي مرسلة نزلت على [٦] العموم. والله أعلم.

السادسة: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي ألهمني. ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ في موضع نصب على المصدر، أي شكر نعمتك ﴿عَلَيَّ﴾ أي ما أنعمت به علي من الهداية ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ بالتحنن والشفقة حتى ربياني صغيرا. وقيل: أنعمت علي بالصحة والعافية وعلى والدي بالغنى والثروة. وقال علي رضي الله عنه: هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره، فأوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده. ووالده هو أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم. وأمه أم الخير، واسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد. وأم أبيه أبي قحافة «قيلة» بالياء المعجمة باثنتين من تحتها. وامرأة أبي بكر الصديق اسمها «قتيلة» بالتاء المعجمة باثنتين من فوقها بنت عبد العزى. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ قال ابن عباس: فأجابه الله فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة، ولم يدع شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه. وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من

---

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٣).

(٢) هكذا رواه ابن الجوزي (٥/ ٣٦٣) في زاد المسير معلقًا، ولا أدرى له سندًا.

(٣ ـ ٥) زاد المسير (٥/ ٣٦٣) لابن الجوزي.

(٦) صحيح: مسلم (١٠٢٨) في الزكاة.

أصبح منكم اليـوم صائما»؟ قال أبـو بكر أنا. قال: «فمن تبع منكم اليـوم جنازة»؟ قال أبو بكر أنا. قال: «فمن أطعم منكم اليـوم مسكينا »؟ قال أبو بكر أنا. قال: «فمن عاد منكم اليـوم مريضا»؟ قال أبو بكر أنا. قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (١).

السابعة : قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾أي اجعل ذريتي صالحين. قال ابن عباس: فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده. ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم إلا أبو بكر. وقـال سهل بـن عبـدالله: المعنى اجعلهم لي خلـف صدق، ولك عبيـد حق. وقال أبو عثمان: اجـعلهم أبرارا لي مطيعين لك. وقال ابن عطاء: وفـقهم لصالح أعمال ترضى بها عنهم. وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلا. وقال مالك بن مقول: اشتكى أبـو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال: اسـتعن عليه بهذه الآية، وتلا ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: رجعت عن الأمر الذي كنت عليه. ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي المخلصين بالتوحيد.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾ قراءة العامة بضم الياء فيهما (٢). وقرئ « يتقبل، ويتجـاوز» بفتح الياء، والضمير فيهمـا يرجع لله عز وجل. وقرأ حفص وحمزة والكسائي ﴿نَتَقَبَّلُ﴾، ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ بالنون فيهما، أي نغفـرها ونصفح عنها. والتجاوز أصله من جزت الشيء إذا لم تقف عليه. وهذه الآية تدل على أن الآية التي قبلها ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ﴾ إلى آخرها مرسلة نزلت على العموم. وهو قول الحسن. ومعنى ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾أي نتقبل منهم الحسنات ونتجاوز عن السيـئات. قـال زيد بن أسلم - ويحكيه مـرفوعـا : إنهم إذا أسلموا قـبلت حسناتهم وغـفرت سيئاتهم. وقيل: الأحسن ما يقتـضى الثواب من الطاعات، وليس في الحسن المباح ثواب ولا عقاب، حكاه ابن عـيسى. ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾﴿فِي﴾ بمعنى مع، أي مع أصـحاب الجنة، تقـول: أكرمك وأحسن إليك في جـميع أهل البلد، أي مع جميـعهم. ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ﴾ نصب لأنه مصـدر مؤكد لما قبله، أي وعد الله أهل الإيمان أن يـتقبل من محسنهم ويتـجاوز عن مسيئـهم وعد الصدق. وهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الصدق هو ذلك الـوعد الذي وعده الله، وهو كقوله تعالى: ﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]. وهذا عند الكوفيين، فأما عند البصريين فتقديره: وعد الكلام الصدق أو الكتاب الصدق، فحـذف الموصوف. وقد مضى هذا في غـير موضع. ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا على ألسنة الرسل، وذلك الجنة.

---

(١) صحيح : مسلم (١٠٢٧) في الزكاة.

(٢) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٥٣) .

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي أن أبعث. ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ قراءة نافع وحفص وغيرهما ﴿أُفٍّ﴾ مكسور منون. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وابن عامر والمفضل عن عاصم «أُفَّ» بالفتح من غير تنوين(١). الباقون بالكسر (٢) غير منون، وكلها لغات، وقد مضى في «بني إسرائيل». وقراءة العامة ﴿أَتَعِدَانِنِي﴾ بنونين مخففتين. وفتح ياءه أهل المدينة ومكة(٣). وأسكن الباقون. وقرأ أبو حيوة والمغيرة وهشام «أتعداني» بنون واحدة مشددة (٤)، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. والعامة على ضم الألف وفتح الراء من ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾. وقرأ الحسن ونصر وأبو العالية والأعمش وأبو معمر بفتح الألف وضم الراء. قال ابن عباس والسدي وأبو العالية ومجاهد: نزلت في عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما، وكان يدعوه أبواه إلى الإسلام فيجيبهما بما أخبر الله عز وجل. وقال قتادة والسدي أيضا: هو عبدالرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، وكان أبوه وأمه أم رومان يدعوانه إلى الإسلام ويعدانه بالبعث، فيرد عليهما بما حكاه الله عز وجل عنه، وكان هذا منه قبل إسلامه. وروي أن عائشة رضي الله عنها أنكرت أن تكون نزلت في عبدالرحمن (٥). وقال الحسن وقتادة أيضا: هي نعت عبد كافر عاق لوالديه. وقال الزجاج: كيف يقال نزلت في عبدالرحمن قبل إسلامه والله عز وجل يقول: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ﴾ أي العذاب، ومن ضرورته عدم الإيمان، وعبدالرحمن من أفاضل المؤمنين؟! فالصحيح أنها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه. وقال محمد بن زياد: كتب معاوية إلى مروان بن الحكم حتى يبايع الناس ليزيد، فقال عبدالرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية (٦)، أتبايعون لأبنائكم؟! فقال مروان: هو الذي يقول الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ الآية. فقال: والله ما هو به. ولو شئت لسميت، ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله (٧). قال المهدوي: ومن جعل الآية في عبدالرحمن كان قوله بعد ذلك ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يراد به من اعتقد ما تقدم ذكره، فأول الآية خاص وآخرها عام. وقيل إن عبدالرحمن لما قال: ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ قال مع ذلك: فأين عبدالله بن جدعان، وأين عثمان بن عمرو، وأين عامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما يقولون؟! فقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يرجع إلى أولئك الأقوام.

(١، ٢) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص١٣٤).

(٣) قراءة عشرية متواترة: تقريب النشر (ص١٧٣).

(٤) قراءة سبعية: الإقناع (٢/ ٧٦٥).

(٥) صحيح: البخاري (٤٨٢٧) في التفسير.

(٦) قصد توريث الملك كما فعل هرقل الروم، والقصة عند ابن أبي حاتم، وابن مردويه، كما في الدر المنثور (٦/ ١١).

(٧) المعنى: أنت قطعة من لعنة الله وطائفة منها.

قلت: قد مضى من خبر عبدالرحمن بن أبي بكر في سورة «الأنعام» عند قوله: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١] ما يدل على نزول هذه الآية فيه، إذ كان كافرا وعند إسلامه وفضله تعين أنه ليس المراد بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ ﴿وَهُمَا﴾ يعني والديه ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ أي يدعوان الله له بالهداية. أو يستغيثان بالله من كفره، فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب. وقيل: الاستغاثة الدعاء، فلا حاجة إلى الباء. قال الفراء: أجاب الله دعاءه وغوثه. ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾ أي صدق بالبعث. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي صدق لا خلف فيه. ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا﴾ أي ما يقوله والداه. ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي أحاديثهم وما سطروه مما لا أصل له. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يعني الذين أشار إليهم ابن أبي بكر في قوله أحيوا لي مشايخ قريش، وهم المعنيون بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ فأما ابن أبي بكر عبدالله أو عبدالرحمن فقد أجاب الله فيه دعاء أبيه في قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥] على ما تقدم. ومعنى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي وجب عليهم العذاب، وهي كلمة الله: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي»[١]. ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أي مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾ تقدمت ومضت ﴿مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الكافرين ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي تلك الأمم الكافرة ﴿كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ لأعمالهم، أي ضاع سعيهم وخسروا الجنة.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم. قال ابن زيد: درجات أهل النار في هذه الآية تذهب سفالا، ودرج أهل الجنة علوا. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير وابن محيصن وعاصم وأبو عمرو ويعقوب بالياء لذكر الله قبله، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ واختاره أبو حاتم. الباقون بالنون[٢] ردا على قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ وهو اختيار أبي عبيد. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي لا يزاد على مسيء ولا ينقص من محسن.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ أي ذكرهم يا محمد يوم يعرض ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي يكشف الغطاء فيقربون من النار وينظرون إليها. ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ أي يقال لهم أذهبتم، فالقول مضمر. وقرأ الحسن ونصر وأبو العالية ويعقوب وابن كثير «أأذهبتم» بهمزتين مخففتين، واختاره أبو حاتم. وقرأ أبو حيوة وهشام «آذهبتم» بهمزة واحدة مطولة على الاستفهام. الباقون بهمزة واحدة من غير مد على الخبر، وكلها لغات فصيحة ومعناها التوبيخ، والعرب توبخ بالاستفهام وبغير الاستفهام، وقد تقدم. واختار أبو عبيد ترك الاستفهام لأنه قراءة أكثر أئمة السبعة:

---

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٣).

نافع وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي، مع من وافقهم شيبة والزهري وابن محيصن والمغيرة بن أبي شهاب ويحيى بن الحارث والأعمش ويحيى بن وثاب وغيرهم، فهذه عليها جلة الناس. وترك الاستفهام أحسن، لأن إثباته يوهم أنهم لم يفعلوا ذلك، كما تقول: أنا ظلمتك؟ تريد أنا لم أظلمك. وإثباته حسن أيضا، يقول القائل: ذهبت فعلت كذا، يوبخ ويقول: أذهبت فعلت؟! كل ذلك جائز. ومعنى ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ أي تمتعتم بالطيبات في الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات، يعني المعاصي. ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي عذاب الخزي والفضيحة. قال مجاهد: الهون الهوان. قتادة: بلغة قريش.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي تستعلون على أهلها بغير استحقاق. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ في أفعالكم بغيا وظلما. وقيل: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ أي أفنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي. قال ابن بحر: الطيبات الشباب والقوة، مأخوذ من قولهم: ذهب أطياه، أي شبابه وقوته. قال الماوردي: ووجدت الضحاك قاله أيضا.

قلت: القول الأول أظهر، روى الحسن عن الأحنف بن قيس أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لأنا أعلم بخفض العيش، ولو شئت لجعلت أكبادا وصلاء وصنابا وصلائق، ولكني أستبقي حسناتي، فإن الله عز وجل وصف أقواما فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [1] وقال أبو عبيد في حديث عمر: لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة. وفي بعض الحديث: وأفلاذ. قال أبو عمرو وغيره: الصلاء ـ بالمد والكسر ـ الشواء، سمي بذلك لأنه يصلى بالنار. والصلاء أيضا: صلاء النار، فإن فتحت الصاد قصرت وقلت: صلى النار. والصناب: الأصبغة المتخذة من الخردل والزبيب. قال أبو عمرو: ولهذا قيل للبرذون: صنابي، وإنما شبه لونه بذلك. قال: والسلائق ـ بالسين ـ هو ما يسلق من البقول وغيرها. وقال غيره: هي الصلائق بالصاد، قال جرير:

تُكَلِّفُني معيشةَ آلِ زيدٍ ومَن لي بالصّلائق والصِّناب

والصلائق: الخبز الرقاق العريض. وقد مضى هذا المعنى في «الأعراف». وأما الكراكر فكراكر الإبل، واحدتها كركرة وهي معروفة، هذا قول أبي عبيد.

وفي الصحاح: والكركرة رحى زور البعير، وهي إحدى السنفئات الخمس. والكركرة أيضا الجماعة من الناس. وأبو مالك عمرو بن كركرة رجل من علماء اللغة. قال أبو عبيد: وأما الأفلاذ فإن واحدها فلذ، وهي القطعة من الكبد. قال أعشى باهلة:

تَكْفِيهِ حُزَّةُ فِلْذٍ إن أَلَمّ بها من الشِّواء ويُرْوِي شُرْبَه الغُمَرُ

وقال قتادة: ذكر لنا أن عمر رضي الله عنه قال: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي للآخرة. ولما قدم عمر الشام صُنع له طعام لم ير قط مثله قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال: لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام، وذهبوا هم في حظهم بالجنة فلقد

(١) صحيح: أحمد (٥٩٥) في الزهد ـ بترقيمي.

باينونا بونا بعيدا [١].

وفي «صحيح مسلم» وغيره أن عمر رضي الله عنه دخل على النبي ﷺ وهو في مشربته حين هجر نساءه قال: فالتفت فلم أر شيئا يرد البصر إلا أهبا جلودا معطونة قد سطع ريحها، فقلت: يا رسول الله، أنت رسول الله وخيرته، وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير؟ قال: فاستوى جالسا وقال: «أفي شك أنت يا بن الخطاب. أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا» فقلت: استغفر لي: فقال: «اللهم اغفر له» [٢]. وقال حفص بن أبي العاص: كنت أتغدى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبز والزيت، والخبز والخل، والخبز واللبن، والخبز والقديد، وأقل ذلك اللحم الغريض [٣]. وكان يقول: لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام كله، فجيء بخبز متفلع [٤] غليظ، فجعل يأكل ويقول: كلوا، فجعلنا لا نأكل، فقال: ما لكم لا تأكلون؟ فقلنا: والله يا أمير المؤمنين نرجع إلى طعام ألين من طعامك هذا، فقال: يا بن أبي العاص أما ترى بأني عالم أن لو أمرت بعناق [٥] سمينة فيلقى عنها شعرها ثم تخرج مصلية [٦] كأنها كذا وكذا، أما ترى بأني عالم أن لو أمرت بصاع أو صاعين من زبيب فأجعله في سقاء ثم أشن عليه من الماء فيصبح كأنه دم غزال، فقلت: يا أمير المؤمنين، أجل ما تنعت العيش، قال: أجل والله الذي لا إله إلا هو لولا أني أخاف أن تنقص حسناتي يوم القيامة لشاركناكم في العيش ولكني سمعت الله تعالى يقول لأقوام: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾. ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي تتعظمون عن طاعة الله وعلى عباد الله. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ تخرجون عن طاعة الله. وقال جابر: اشتهى أهلي لحما فاشتريته لهم فمررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما هذا يا جابر؟ فأخبرته، فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئا جعله في بطنه أما يخشى أن يكون من أهل هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ [٧] الآية.

قال ابن العربي: وهذا عتاب منه له على التوسع بابتياع اللحم والخروج عن جلف الخبز والماء، فإن تعاطي الطيبات من الحلال تستشره لها الطباع وتستمرئها العادة فإذا فقدتها استسهلت في تحصيلها بالشبهات حتى تقع في الحرام المحض بغلبة العادة واستشراه الهوى على النفس الأمارة بالسوء. فأخذ عمر الأمر من أوله وحماه من ابتدائه كما يفعله مثله. والذي يضبط هذا الباب ويحفظ قانونه: على

---

(١) منقطع: بين عمر وقتادة، وانظر: مناقب عمر (ص٧٥) لابن الجوزي، وذكره الطبري (٢٦/ ٢٢) في تفسيره.

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٤٦٨) في المظالم، ومسلم (١٤٧٩) في الطلاق. والمشربة: الغرفة (العلية). النهاية (٢/ ٤٥٥) لابن الأثير، والأهب: بضم الهمزة والهاء فتحهما ـ ج إهاب ـ وهو الجلد. السابق (١/ ٨٣).

(٣) الغريض: الطري ـ النهاية (٣/ ٦٣١) لابن الأثير.

(٤) المتفلع: المشقق. اللسان «فلع».

(٥) العناق: الأنثى من ولد الماعز لم يتم له سنة ـ اللسان «عنق».

(٦) المصلية: المشوية والقصة عزاها السيوطي (٦/ ١٢) في الدر لابن سعد وعبد بن حميد، عن حميد بن هلال.

(٧) ضعيف: أحمد (٦٥٣) في الزهد ـ بترقيمي ـ وفيه الأعمش، عن بعض أصحابه، ففيه إبهام، وتدليس وانقطاع.

المرء أن يأكل ما وجد طيبا كان أو قفارا [١]، ولا يتكلف الطيب ويتخذه عادة، وقد كان النبي ﷺ يشبع إذا وجد، ويصبر إذا عدم، ويأكل الحلوى إذا قدر عليها، ويشرب العسل إذا اتفق له، ويأكل اللحم إذا تيسر، ولا يعتمد أصلا، ولا يجعله ديدنا. ومعيشة النبي ﷺ معلومة، وطريقة الصحابة منقولة، فأما اليوم عند استيلاء الحرام وفساد الحطام فالخلاص عسير، والله يهب الإخلاص، ويعين على الخلاص برحمته. وقيل: إن التوبيخ واقع على ترك الشكر لا على تناول الطيبات المحللة، وهو حسن، فإن تناول الطيب الحلال مأذون فيه، فإذا ترك الشكر عليه واستعان به على ما لا يحل له فقد أذهبه.. والله أعلم.

﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود بن عبدالله بن رباح عليه السلام، كان أخاهم في النسب لا في الدين. ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾ أي اذكر لهؤلاء المشركين قصة عاد ليعتبروا بها. وقيل: أمره بأن يتذكر في نفسه قصة هود ليقتدي به، ويهون عليه تكذيب قومه له. والأحقاف: ديار عاد. وهي الرمال العظام، في قول الخليل وغيره. وكانوا قهروا أهل الأرض بفضل قوتهم. والأحقاف جمع حقف، وهو ما استطال من الرمل العظيم واعوج ولم يبلغ أن يكون جبلا، والجمع حقاف وأحقاف وحقوف. واحقوقف الرمل والهلال أي اعوج. وقيل: الحِقف جمع حِقاف. والأحقاف جمع الجمع. ويقال: حِقف أحقف. قال الأعشى:

باتَ إلى أرطاة حِقف أحْقَفَا

أي رمل مستطيل مشرف. والفعل منه احقوقف. قال العجاج:

طيّ الليالي زُلَفاً فزلفا سَمَاوَةَ الهلال حَتى احقوقفا

أي انحنى واستدار. وقال امرؤ القيس:

كحِقف النقا يمشي الوليدَان فوقه بما احتسبا من لِين مَسٍّ وتَسْهَالِ

وفيما أريد بالأحقاف ها هنا مختلف فيه. فقال ابن زيد: هي رمال مشرفة مستطيلة كهيئة الجبال، ولم تبلغ أن تكون جبالا، وشاهده ما ذكرناه. وقال قتادة: هي جبال مشرفة بالشحر، والشحر قريب من عدن [٢]، يقال: شحر عمان وشحر عمان، وهو ساحل البحر بين عمان وعدن. وعنه أيضا: ذكر لنا أن عادا كانوا أحياء باليمن، أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشحر. وقال مجاهد: هي أرض من حسمى تسمى بالأحقاف. وحسمى ـ بكسر الحاء ـ اسم أرض بالبادية فيها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتام يفارقها. قال النابغة:

فأصبحَ عاقِلاً بجبال حِسْمى دُقاقَ التُّرْب مُحْتَزِمَ القَتامِ

(١) القفار: الطعام إذا كان غير مأدوم. اللسان «قفر».

(٢) صحيح إلى ابن زيد وقتادة: الطبري (٢٦/ ٢٥) في تفسيره.

قاله الجوهري. وقـال ابن عباس والضحاك: الأحقـاف جبل بالشام [١]. وعن ابن عباس أيضا: واد بين عمان ومهرة [٢]. وقال مقاتل: كـانت منازل عاد باليمن في حضر موت بـواد يقال له مهرة، وإليه تنسَب الإبل المهرية، فيقال: إبل مهرية ومهاري. وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكـانوا من قبيلة إرم [٣]. وقال الكلبي: أحـقاف الجبل مـا نضب عنه الماء زمان الغرف، كـان ينضب الماء من الأرض ويبقى أثره [٤]. وروى الطفيل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خـير واديين في الناس واد بمكة وواد نزل به آدم بأرض الهنـد. وشر واديين في الناس واد بالأحقاف وواد بحضر موت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار. وخير بئر في الناس بئر زمزم. وشر بئر في الناس بئر برهوت، وهو في ذلك الوادي الـذي بحضر موت [٥]. ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ أي مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي من قبل هود. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي ومن بعده؛ قاله الفراء. وفي قراءة ابن مسعود «من بين يديه ومن بعده». ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ هذا من قول المرسل، فهو كلام معترض. ثم قال هود: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وقيل: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ من كلام هود، والله أعلم.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ فيه وجـهان: أحدهما: لتزيلنا عن عـبادتها بالإفك. الثاني: لتصرفنا عن آلهتنا بالمنع، قاله الضحاك. قال عروة بن أذينة:

إن تك عن أحسن الصنيعة مأ فُوكاً ففي آخرين قد أفكوا

يقول: إن لم توفق للإحسان فأنت في قوم قد صرفوا. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ هذا يدل على أن الوعد قد يوضع موضـع الوعيد. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أنك نبي ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بوقت مجيء العذاب. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا عندي ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ عن ربكم. ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ في سـؤالكم استعـجال العذاب. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ قال المبرد: الضـمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ يعود إلى غيـر مذكور، وبينه قوله: ﴿عَارِضًا﴾ فالضمير يعود إلى السحاب، أي فلما رأوا السـحاب عارضا. فـ ﴿عَارِضًا﴾ نصب على التكرير، سـمي بذلك لأنه يبدو في عـرض السماء. وقـيل: نصب على الحال. وقـيل: يرجع الضمير إلى قوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ فلما رأوه حسبوه سحابا يمطرهم، وكان المطر قد أبطأ عنهم، فلما

(١ ـ ٣) ذكرها ابن الجوزي (٥/ ٣٦٧) في زاد المسير بلا سند.

(٤) ضعيف: الطبري (٢٦/ ٢٤) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٥) رجاله ثقات: كذا ذكره ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٢٥) في تفسيره، وابن كثير (٧/ ٢١٩) عنه به، والسيوطي (٦/ ١٣) عنه أيضًا في الدر، وقد روى حديث مرفوع صحيح في (بئر برهوت هذه)، والله أعلم.

ولكن عن ابن عباس كـما في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٦) للهـيثمي وقد وجدتـه عند عبد الرزاق (٥/ ١١٦) في المصنف موقوفًا بسند رجاله ثقات.

رأوه ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ استبشروا. وكان قد جاءهم من واد جرت العادة أن ما جاء منه يكون غيثا، قاله ابن عباس وغيره ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ قال الجوهري: والعارض السحاب يعترض في الأفق، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ أي ممطر لنا، لأنه معرفة لا يجوز أن يكون صفة لعارض وهو نكرة. والعرب إنما تفعل مثل هذا في الأسماء المشتقة من الأفعال دون غيرها. قال جرير:

يا رُبَّ غابِطِنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدةً منكم وحِرْمَانَا

ولا يجوز أن يقال: هذا رجل غلامنا. وقال أعرابي بعد الفطر: رب صائمة لن تصومه، وقائمة لن تقومه، فجعله نعتا للنكرة وأضافه إلى المعرفة.

قلت: قوله: «لا يجوز أن يكون صفة لعارض» خلاف قول النحويين، والإضافة في تقدير الانفصال، فهي إضافة لفظية لا حقيقية، لأنها لم تفد الأول تعريفا، بل الاسم نكرة على حاله، فلذلك جرى نعتا على النكرة. هذا قول النحويين في الآية والبيت. ونعت النكرة نكرة. و«رب» لا تدخل إلا على النكرة. ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي قال هود لهم. والدليل عليه قراءة من قرأ «قال هود بل هو» وقرئ «قل بل ما استعجلتم به هي ريحٌ» أي قال الله: قل بل هو ما استعجلتم به، ويعني قولهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ ثم بين ما هو فقال ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والريح التي عذبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه، وخرج هود من بين أظهرهم، فجعلت تحمل الفساطيط وتحمل الظعينة [1] فترفعها كأنها جرادة، ثم تضرب بها الصخور. قال ابن عباس: أول ما رأوا العارض قاموا فمدوا أيديهم، فأول ما عرفوا أنه عذاب رأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح ما بين السماء والأرض مثل الريش، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام حسوما، ولهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمتهم في البحر، فهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي كل شيء مرت عليه من رجال عاد وأموالها [2]. قال ابن عباس: أي كل شيء بعثت إليه.

قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ والتدمير: الهلاك. وكذلك الدمار. وقرئ «يدمر كل شيء» من دمر دمارا. يقال: دمره تدميرا ودمارا ودمر عليه بمعنى. ودَمَرَ يَدْمُرُ دُمُورا دخل بغير إذن. وفي الحديث: «من سبق طرفه استئذانه فقد دَمَرَ» [3] مخفف الميم. وتدمر: بلد بالشام. ويربوع

---

(١) الظعينة: قال ابن الأثير: الراحلة التى يرحل عليها ويطعن عليها، أى: يُسار وقيل للمرأة: ظعينة؛ لأنها تظعن مع زوجها حيث ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت.
وقيل: الظعينة: المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج ظعينة وجمع الظعينة: ظُعُن، وظعائن، وأظفان. النهاية (٣/ ١٥٧)

(٢) ضعيف جدًا: أبو الشيخ (٤/ ١٣٣١) في العظمة، وعزاه السيوطي (٦/ ٥١٤) في الدر المنثور لابن أبي الدنيا وفيه جويبر وهو تالف الإسناد.

(٣) في إسناده نظر: ذكره الهيثمي (٨/ ٤٣) في المجمع مرفوعًا، عن أبي أُمامة، وقال: «رواه الطبراني وأحمد، وفي إسناد الأول السفر بن بشير وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وعبد الله بن رجاء الشيباني لم أعرفه وبقية رجاله ثقات». قلت: ورواه الحسن مرسلاً كما عند ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٤) في المصنف.

تدمري إذا كان صغيرا قصيرا. ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإذن ربها. وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكا حتى أرى منه لهـواته إنما كان يتبسم. قالت: وكان إذا رأى غيما أو ريحـا عرف في وجهه. قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغـيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية؟ فـقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذابٌ عُذِّب قوم بالريح وقد رأى قومٌ العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا» (١) خرجه مسلم والترمذي، وقال فيه: حديث حسن.

وفي صـحيح مـسلم عن ابن عبـاس عن النبي ﷺ أنه قـال: «نصرت بالصـبا وأهلكت عـاد بالدبور» (٢). وذكر الماوردي أن القائل ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ من قوم عاد: بكر بـن معاوية، ولما رأى السحاب قال: إني لأرى سحابا مرمدا، لا تدع من عاد أحدا (٣). فذكر عمرو بن ميمون أنها كانت تأتيهم بالرجل الغائب حتى تقذفه في ناديهم. قال ابن إسحاق: واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة، مـا يصيبـه ومن معه منهـا إلا ما يلين أعلى ثيابهم. وتلتـذ الأنفس به، لأنها لتمـر من عاد بالظعن بين السـماء والأرض وتدمـغهم بالحجـارة حتى هلكوا. وحكـى الكلبي أن شاعـرهم قال في ذلك:

فدعا هُودٌ عليهـــم دعوةً أضحَوْا همـــــودا
عصفت رِيحٌ عليهم تركت عاداً خمـــــودا
سخّرت سبـــع ليال لم تدع في الأرضِ عُودا

وعَمَّرَ هود في قـومه بعدهم مائة وخـمسين سنة. ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾. قرأ عاصم وحمزة ﴿لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ بالياء غير مسمى الفاعل. وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير إلا أنه قـرأ «ترى» بالتـاء. وقد روىَ ذلك عن أبي بكـر عن عاصم. البـاقـون «ترى» بتاء مـفـتوحـة. «مَسَاكِنُهُمْ» بالنصب (٤)، أي لا ترى يا محمد إلا مساكنهم. قال المهدوي: ومن قرأ بالتاء غير مسمى الفاعل فـعلى لفظ الظاهر الذي هو المساكن المؤنثـة، وهو قليل لا يستـعمل إلا في الشعـر. وقال أبو حاتم: لا يستقـيم هذا في اللغة إلا أن يكون فيها إضمار، كـما تقول في الكلام: ألا ترى النساء إلا زينب. ولا يجوز: لا ترى إلا زينب. وقال سيـبويه: معناه لا ترى أشخاصهم إلا مـساكنهم. واختار أبو عبـيد وأبو حـاتم قراءة عاصم وحـمزة. قال الكسـائي: معناه لا يرى شيء إلا مـساكنهم، فـهو محمول على المعنى، كـما تقول: ما قام إلا هند، والمعنى ما قـام أحد إلا هند. وقال الفراء: لا يرى

(١) متفق عليه: البخاري (٤٨٢٨) في التفسير، ومسلم (٨٩٩) في صلاة الاستسقاء.

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٤٤٣) في أحاديث الأنبياء، ومسلم (٩٠٠) في صلاة الاستسقاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) هذه رواية ابن إسحاق كمـا في البداية والنهاية (١/ ١٩٤، ١٩٥) لابن كثير ـ رحمه الله وقـد وجدت لها شاهدًا حسنًا عند أحمـد (٣/ ٤٨١، ٤٨٢) في المسند، والترمذي (٣٢٧٤) في تفسير القـرآن، عن الحارث بن حسان البكري في قصة وافد عاد.

وأما الشعر فهو من كلام الكلبي وهو كذّاب رافضي، وانظر الماوردي (٤/ ١٢١) في النكت والعيون.

(٤) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٣).

الناس لأنهم كانوا تحت الرمل، وإنما ترى مساكنهم لأنها قائمة. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل هذه العقوبة نعاقب بها المشركين.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ قيل: إن ﴿إن﴾ زائدة، تقديره ولقد مكناكم فيما مكناكم فيه. وهذا قول القتبي.

وأنشد الأخفش:

يُرَجِّي المرءُ ما إن لا يراه ... وتعرِض دون أدناه الخطوب

وقال آخر:

فما إنْ طِبُّنا جُبْنَ ولكن ... منايانا ودَوْلَةُ آخرينا

وقيل: إن ﴿مَا﴾ بمعنى الذي. و﴿إن﴾ بمعنى ما، والتقدير ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه، قاله المبرد. وقيل: شرطية وجوابها مضمر محذوف، والتقدير ولقد مكناهم في ما إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم أشد، وتم الكلام. ثم ابتدأ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ يعني قلوبا يفقهون بها. ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ ما أغنت عنهم من عذاب الله. ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾ يكفرون ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم﴾ أحاط بهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾ يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوهما مما كان يجاور بلاد الحجاز، وكانت أخبارهم متواترة عندهم. ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ يعني الحجج والدلالات وأنواع البينات والعظات، أي بيناها لأهل تلك القرى. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فلم يرجعوا. وقيل: أي صرفنا آيات القرآن في الوعد والوعيد والقصص والإعجاز لعل هؤلاء المشركين يرجعون.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ بمعنى هلا، أي هلا نصرهم آلهتهم التي تقربوا بها بزعمهم إلى الله لتشفع لهم حيث قالوا: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم. قال الكسائي: القربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة ونسيكة، والجمع قرابين، كالرهبان والرهابين. وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف، والثاني ﴿آلِهَةً﴾. و﴿قُرْبَانًا﴾ حال، ولا يصح أن يكون ﴿قُرْبَانًا﴾ مفعولا ثانيا. و﴿آلِهَةً﴾ بدل منه لفساد المعنى، قاله الزمخشري. وقرئ «قُرُبَانا» بضم الراء. ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي هلكوا عنهم. وقيل: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي ضلت عنهم

آلهتهم لأنها لم يصبها ما أصابهم، إذ هي جماد. وقيل: ﴿ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾، أي تركوا الأصنام وتبرؤوا منها. ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ أي والآلهة التي ضلت عنهم هي إفكهم في قولهم: إنها تقربهم إلى الله زلفى. وقراءة العامة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ بكسر الهمزة وسكون الفاء، أي كذبهم. والإفك: الكذب، وكذلك الأفيكة، والجمع الأفائك. ورجل أفاك أي كذاب. وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن الزبير «وذلك أَفَكَهُم» بفتح الهمزة والفاء والكاف، على الفعل، أي ذلك القول صرفهم عن التوحيد. والأفك «بالفتح» مصدر قولك: أفكه يأفكه أفكا، أي قلبه وصرفه عن الشيء. وقرأ عكرمة «أفكهم» بتشديد الفاء على التأكيد والتكثير. قال أبو حاتم: يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم. وذكر المهدوي عن ابن عباس أيضا «آفكهم» بالمد وكسر الفاء، بمعنى صارفهم. وعن عبدالله بن الزبير باختلاف عنه «آفكهم» بالمد، فجاز أن يكون أفعلهم، أي أصارهم إلى الإفك. وجاز أن يكون فاعلهم كخادعهم. ودليل قراءة العامة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي يكذبون. وقيل «أفكهم» مثل «أفكهم». الإفكُ والأَفَكُ كالحذر والحَذر، قاله المهدوي.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ﴾هذا توبيخ لمشركي قريش، أي إن الجن سمعوا القرآن فآمنوا به وعلموا أنه من عند الله وأنتم معرضون مصرون على الكفر. ومعنى ﴿صَرَفْنَا﴾وجهنا إليك وبعثنا. وذلك أنهم صرفوا عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب - على ما يأتي - ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه إلا عند مبعث النبي ﷺ. قال المفسرون ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم: لما مات أبو طالب خرج النبي ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة فقصد عبد ياليل ومسعودا وحبيبا وهم إخوة - بنو عمرو بن عمير - وعندهم امرأة من قريش من بني جمح، فدعاهم إلى الإيمان وسألهم أن ينصروه على قومه فقال أحدهم: هو يمرط [1] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر: ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبدا، إن كان الله أرسلك كما تقول فأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، وإن كنت تكذب فما ينبغي لي أن أكلمك. ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة. فقال للجمحية: «ماذا لقينا من أحمائك»؟ ثم قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، لمن تكلني إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك». فرحمه ابنا ربيعة وقالا لغلام لهما نصراني يقال له عداس: خذ قطفا من العنب وضعه في هذا الطبق ثم ضعه بين يدي هذا الرجل، فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ :«باسم الله» ثم أكل، فنظر عداس إلى

(١) يمرط : ينزع وينتف. اللسان «مرط» .

وجهه ثم قـال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقـال النبي ﷺ: «من أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟» قال: أنا نصراني من أهل «نينوى». فقال له النبي ﷺ: «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى»؟ فـقال: وما يدريك مـا يونس بن متى؟ قـال: «ذاك أخي كان نبيـا وأنا نبي» فانكب عداس حتى قبل رأس النبي ﷺ ويديه ورجليه. فقال له ابنا ربيعة: لم فعلت هكذا؟ فقال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا، أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي. ثم انصرف النبي ﷺ حين يئس من خير ثقيف، حتـى إذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي فمـر به نفر من جن أهل نصيـبين. وكان سبب ذلك أن الجن كانوا يسترقـون السمع، فلما حرست السماء ورمـوا بالشهب قال إبليس: إن هذا الذي حدث في السـماء لشيء حدث في الأرض، فـبعث سراياه ليعـرف الخبر، أولهم ركب نصـيبين وهم أشراف الجن إلى تهامة، فلما بلغوا بطن نخلة سـمعوا النبي ﷺ يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة ويتلو القرآن، فاستمـعوا له وقالوا: أنصتوا [1]. وقالت طائفة: بل أمـر النبي ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهـم القرآن، فصرف الله عز عز وجل إليه نفـرا من الجن من نينوى وجمعهم له، فقال النبي ﷺ: «إني أريد أن أقرأ القرآن على الجن الليلة فأيكم يتبعني»؟ فأطرقوا، ثم قال الثانية فأطرقوا، ثم قال الثالثـة فأطرقوا، فقال ابن مسعود: أنا يا رسول الله، قال ابن مـسعود: ولم يحضر معه أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبي ﷺ شعبا يقال له «شعب الحجون» وخط لي خطا وأمرني أن أجلس فـيه وقال: «لا تخرج منه حتـى أعود إليك». ثم انطلق حتى قام فـافتتح القرآن، فجعلت أرى أمثال النسور تهوي وتمشي في رفرفها، وسمعت لغطا وغمغمة حتى خفت على النبي ﷺ، وغشيته أسودة [2] كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسـمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبي ﷺ مع الفجـر فقال: «أنمت»؟ قلت: لا والله، ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا، فقال: «لو خرجت لم آمن عليك أن يخطفك بعـضـهم» ثم قال: «هل رأيـت شيـئـا»؟ قلت : نعم يا رسول الـله ، رأيت رجالا سـودا مستفري [3] ثيابا بيضا، فقال: «أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل [4] وروثة وبعرة». فقـالوا: يا رسول الله يقذرها الناس علينا. فنهى رسـول الله ﷺ أن يستنجى بالعظم والروث. قلت: يا نبي الله، وما يغني ذلك عنهم قال: «إنهم لا يجدون عظمـا إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يـوم أكل » فقلت: يا رسول الله، لقد سمعت لغطا شديدا؟

---

(١) ضعيف : محتـمل للتحسين : أمّا الروايات التي ذكرها المصنف ففيها إرسـال ، وفي أسانيدها مقال ، ورواه ابن إسحاق مرسلاً بالسند إلى محمد بن كعب القرظي كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٢١، ٢٣) .

وروى الطبري قصة الذهاب إلى الطائف دون ذكـر قصة عدّاس عن عبد الله بن جعـفر ـ رضي الله عنه ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه (٢٦/ ٣٠).

وقد روى الترمذي الحديث في تفسير سورة الجن (٣٣٢٣) وسيأتي صحيحًا ـ إن شاء الله تعالى.

(٢) أسودة: جمع قلة لسواد وهو الشخص لأنه يرى من بعيد أسود . النهاية (٢/ ٤١٨) لابن الأثير.

(٣) الاستفار: أن يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنبه ـ النهاية (١/ ٢١٤) لابن الأثير.

(٤) العظم الحائل : هو المتـغير قد غيـرّه البَلى وكل متغيـر حائل فإذا أتت عليه السنة ، فـهو مجبل كـأنه مأخوذ من الحول: السنة . النهاية (١/ ٤٦٣) لابن الأثير.

فقال : «إن الجن تدارأت [١] في قتيل بينهم فتحاكموا إلي فقضيت بينهم بالحق». ثم تبرز النبي ﷺ ثم أتاني فقال: «هل معك ماء»؟ فقلت يا نبي الله، معي إداوة [٢] فيها شيء من نبيذ التمر فصببت على يديه فتوضأ فقال: «تمرة طيبة وماء طهور» [٣]. روى معناه معمر عن قتادة وشعبة أيضا عن ابن مسعود [٤]. وليس في حديث معمر ذكر نبيذ التمر.

روي عن أبي عثمان النهدي أن ابن مسعود أبصر زطا [٥] فقال: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزط. قال: ما رأيت شبههم إلا الجن ليلة الجن فكانوا مستفزين يتبع بعضهم بعضا. وذكر الدارقطني عن عبدالله بن لهيعة: حدثني قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس عن ابن مسعود أنه وضأ النبي ﷺ ليلة الجن بنبيذ فتوضأ به وقال: «شراب وطهور» [٦]. ابن لهيعة لا يحتج به. وبهذا السند عن ابن مسعود: أنه خرج مع النبي ﷺ ليلة الجن، فقال له رسول الله ﷺ: «أمعك ماء يا بن مسعود»؟ فقال: معي نبيذ في إداوة، فقال رسول الله ﷺ: «صب علي منه». فتوضأ وقال: «هو شراب وطهور» [٧] تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث. قال الدارقطني: وقيل إن ابن مسعود لم يشهد مع النبي ﷺ ليلة الجن. كذلك رواه علقمة بن قيس وأبو عبيدة بن عبدالله وغيرهما عنه أنه قال: ما شهدت ليلة الجن. حدثنا أبو محمد بن صاعد حدثنا أبو الأشعث حدثنا بشر بن المفضل حدثنا داود ابن أبي هند عن عامر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبدالله بن مسعود: أشهد رسول الله ﷺ أحد منكم ليلة أتاه داعي الجن؟ قال لا [٨]. قال الدارقطني: هذا إسناد صحيح لا يختلف في عدالة راويه. وعن عمرو بن مرة قال قلت لأبي عبيدة: حضر عبدالله بن مسعود ليلة الجن؟ فقال لا [٩]. قال ابن عباس: كان الجن سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم النبي ﷺ رسلا إلى قومهم [١٠]. وقال زر بن حبيش: كانوا تسعة أحدهم زوبعة [١١]. وقال قتادة: إنهم من أهل نينوى [١٢]. وقال مجاهد: من أهل حران [١٣]. وقال عكرمة: من جزيرة الموصل. وقيل: إنهم كانوا سبعة، ثلاثة من أهل نجران وأربعة من أهل نصيبين [١٤]. وروى ابن أبي الدنيا أن النبي ﷺ قال في هذا الحديث وذكر فيه نصيبين فقال: «رفعت إلي حتى رأيتها فدعوت الله أن يكثر مطرها وينضر شجرها وأن يغزو

---

(١) تدارأت : اختفت النهاية (٢/ ١٠٩) لابن الأثير .

(٢) الإداوة : إناء من جلد صغير يتخذ للماء ، والجمع أداوى. السابق (١/ ٣٣) .

(٣، ٤) ضعيف : رأيته في الطبري ، عن ابن مسعود بأكثر من سند ، ففيه انقطاع بين قتادة وابن مسعود ـ رضي الله عنه ، ثم فيه عبد الله بن عمرو الثقفي ، عن ابن مسعود هو مجهول الطبري (٢٦/ ٣٢) .

(٥) الزط : جيل من الناس من الزنج وغيرهم ـ اللسان .

(٦) ضعيف : الدارقطني (١/ ٧٦) في سننه .

(٧) وأبو داود (٨٤) في الطهارة ، والترمذي (٨٨) في الطهارة ، وضعفه الألباني .

(٨) صحيح : مسلم (٤٥٠) وفي الصلاة ، والدارقطني (١/ ٧٧) ، والترمذي (٣٢٥٨) في تفسير القرآن.

(٩) منقطع : بين أبي عبيدة وابن مسعود ـ رضي الله عنه .

(١٠) ضعيف : فيه الحماني وهو ضعيف . الطبري (٢٦/ ٣٢) في تفسيره .

(١١) حسن : ففيه عاصم بن أبي النجود وهو ابن بهدلة فيه ضعف : الطبري (٢٦/ ٣٢) في تفسيره.

(١٢ ـ ١٤) هذه مراسيل : ولا فائدة من الحصر فيها للعدد ، والله أعلم .

نهرها» [١]. وقال السهيلي: ويقال: كانوا سبعة، وكانوا يهودا فأسلموا، ولذلك قالوا: أنزل من بعد موسى. وقيل في أسمائهم: شاصر وماصـر ومنشي وماشي والأحقب، ذكر هؤلاء الخمسة ابن دريد. ومنهم عمرو بن جابر، ذكره ابن سلام من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أشياخه عن ابن مسعود أنه كان في نفر من أصحاب النبي ﷺ يمشون فرفع لهم إعصـار ثم جاء إعصار أعظم منه فإذا حية قتيل، فعمد رجل منا إلى ردائه فـشقه وكفن الحية ببعضه ودفنهـا، فلما جن الليل إذا امرأتان تسألان: أيكم دفن عمرو بن جابر؟ فقلنا: ما ندري من عمرو بن جابر فـقالتا: إن كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه، إن فسقـة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتل عمـرو، وهو الحية التي رأيتم، وهو من النفر الذين استـمعوا القرآن من محـمد ﷺ ثم ولوا إلى قومهم منذرين. وذكر ابن سـلام رواية أخرى: أن الذي كفنه هو صفوان بن المعطل [٢].

قلت: وذكر هذا الخـبر الثعلـبي بنحوه فقـال: وقال ثابت بن قطبـة جاء أناس إلى ابن مسـعود فقـالوا: إنا كنا في سفر فرأينـا حية متـشحطة في دمائها، فـأخذها رجل منا فواريناها، فـجاء أناس فقالوا: أيكم دفن عمرا؟ قلنا وما عمرو؟ قـالوا: الحية التي دفنتم في مكان كذا، أما إنه كان من النفر الذين سمعـوا القرآن من النبي ﷺ وكان بين حيين من الجن مـسلمين وكافرين قتال فـقتل. ففي هذا الخبـر أن ابن مسعـود لم يكن في سفر ولا حـضر الدفن [٣]، والله أعلم. وذكر ابـن أبي الدنيا عن رجل من التابعين سمـاه: أن حية دخلت عليه في خبائه تـلهث عطشا فسقاها ثم إنها مـاتت فدفنها، فأتي من الليل فسلم عليه وشكر، وأخبر أن تلك الحية كانت رجلا عن جن نصيبين اسمه زوبعة [٤]. قال السـهيلي: وبلغنا في فـضائل عـمر بن عبـدالعزيز رضي الله عنه مما حـدثنا به أبو بكر بن طاهر الأشبيلي أن عمر بن عبدالعزيز كان يمشي بأرض فلاة، فـإذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها، فإذا قائل يقول: يا سُرَّق، أشهد لسمـعت رسول الله ﷺ يقول: «ستموت بأرض فلاة فيكفنك رجل صالح». فقال: ومن أنت يرحـمك الله؟ فقال: رجل من الجن الذين استمعـوا القرآن من رسول الله ﷺ لم يبق منهم إلا أنا وسُرَّق، وهذا سُـرَّق قد مات [٥]. وقد قـتلت عائشة رضي الله عنها حـية رأتها في حجـرتها تستمع وعائشة تقـرأ، فأتيت في المنام فقيل لها: إنك قـتلت رجلا مؤمنا من الجن الذين قدموا على رسول الـله ﷺ، فقالت: لو كان مؤمنا ما دخل على حـرم رسول الله ﷺ، فقيل لها: ما دخل عليك إلا وأنت متقنعة، وما جاء إلا ليستـمع الذكر. فأصبحت عائشة فزعة، واشترت رقابا فأعتقتهم. قال السهيلي: وقد ذكرنا من أسماء هؤلاء الجن ما حضرنا، فإن كانوا سبعة فالأحقب منهم وصف لأحـدهم، وليس باسم علم، فإن الأسـماء التي ذكـرناها آنفا ثمـانية بالأحـقب. والله أعلم.

(١ ـ ٣) ضعيف: فيه محمد بن زياد الكلبي، قال ابن معين ليس بشيء، وقال صالح جزرة: إخباري ليس بذاك، ورواه ابن أبي الدنيا (٧٤) في الهواتف (ص٦٠، ٦١)، وابن كثير (٧/ ٢٣١، ٢٣٢) بأسانيد ضعاف، وقال: غريب جدًا، وذكر قصة صفـوان وضعفها أيضًا ففيها إبهام. وقال الهـيثمي (١٠/ ٢) في المجمع: «رواه عبد الله بن أحمد والطبراني وفيه عمر بن نبهان العبدي: وهو متروك».

(٤) ضعيف: وفيه جهالة المحدث، وانظر: الهواتف لابن أبي الدنيا (٧٥) (ص٦١).

(٥) ضعيف: رواه بلاغًا، وانظر ابن الجوزي (١٨٥) في مناقب عمر بن عبد العزيز.

قلت: وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تـاريخه: هامة بن الهيم بن الأقيس بن إبليس، قيل: إنه من مؤمني الجن وممن لقي النبي ﷺ وعلـمه سورة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] و﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ [المرسلات: ١] و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] و﴿الْحَمْدُ﴾ [الفاتحة: ١] و«المعوذتـين» [الفلق: ١، والناس: ١]. وذكر أنه حـضر قتل هـابيل وشرك في دمه وهـو غلام ابن أعوام، وأنه لقي نوحا وتاب على يديه، وهودا وصالحا ويعـقوب ويوسف وإلياس وموسى بن عمران وعيسى ابن مـريم عليهم السلام [١]. وقد ذكر الماوردي أسـماءهم عن مجاهد فقـال: حسى ومسى ومنشى وشاصر وماصر والأرد وأنيان والأحقم [٢]. وذكرها أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال: حدثنا محمد بن البراء قال حـدثنا الزبير بن بكار قال: كان حمزة بن عتبة بن أبي لهب يسمي جن نصيبين الذين قـدموا على رسول الله ﷺ فيقول: حسى ومسى وشاصـر وماصر والأفخر والأرد وأنيال [٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي حضروا النـبي ﷺ، وهو من باب تلوين الخطاب. وقيل: لما حضروا القرآن واسـتماعه. ﴿قَالُوا أَنصِتُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض اسكتـوا لاستماع القرآن. قال ابن مسعود: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القـرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه ﴿قَالُوا أَنصِتُوا﴾ قالوا صه. وكانوا سبعة: أحدهم زوبعة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ الآية إلى قوله ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢]. وقيل: ﴿أَنصِتُوا﴾ لسماع قول رسول الله ﷺ، والمعنى متقارب. ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ وقرأ لاحق بن حميد وخبيب بن عبدالله بن الزبير «فلمـا قَضَى» بفـتح القاف والضـاد، يعني النبي ﷺ قبل الصـلاة. وذلك أنهم خرجـوا حين حرست السماء من استراق السمع ليسـتخبروا ما أوجب ذلك؟ فجاؤوا وادي نخلة والنبي ﷺ يقرأ في صلاة الفجر، وكانوا سبعة، فسمعوه وانصرفوا إلى قومهم منذرين، ولم يعلم بهم النبي ﷺ. وقيل: بل أمر النبي ﷺ أن ينـذر الجن ويقرأ عليهم القـرآن، فصرف الله إليـه نفرا من الجن ليـستمـعوا منه وينذروا قومهم، فلما تلا عليهم القرآن وفرغ انصرفوا بأمره قاصدين مَنْ وَرَاءَهُمْ من قومهم من الجن، منذرين لهم مخالفة القـرآن ومحذرين إياهم بأس الله إن لم يؤمنوا. وهذا يدل على أنهم آمنوا بالنبي ﷺ، وأنه أرسلهم. ويدل على هذا قولهم: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] ولولا ذلك لما أنذروا قومهم. وقـد تقدم عن ابن عباس أن النبي ﷺ جعلهم رسلا إلى قـومهم، فعلى هذا ليلة الجن ليلتان، وقد تقدم هذا المعنى مستوفى. وفي «صحيح مسلم» ما يدل على ذلك على ما يأتي بيانه في ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١]. وفي «صحـيح مسلم» عن مـعن قال: سـمعت أبي قـال سألت مسروقا: من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا الـقرآن؟ فقال: حدثني أبوك ـ يعني ابن مسعود ـ أنه

---

(١) ضعيف: رواه ابن عساكر كما في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ١٢٩) معلقًا عن عمر.

(٢) النكت والعيـون (٤ / ١٢٣) للماوردي معلقًـا بلا سند، وذكره السيـوطي (٦/ ١٧) في الدر وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) صحيح: وقد رواه الهيثمي (٧/ ١٠٩) في المجمع، وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات».

آذنته بهم شجرة [١].

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي القرآن، وكانوا مؤمنين بموسى. قال عطاء: كانوا يهودا فأسلموا، ولذلك قالوا ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [٢]. وعن ابن عباس: أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى، فلذلك قالت: ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني ما قبله من التوراة. ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ دين الحق. ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الله القويم. ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ يعني محمدا ﷺ، وهذا يدل على أنه كان مبعوثا إلى الجن والإنس. قال مقاتل: ولم يبعث الله نبيا إلى الجن والإنس قبل محمد ﷺ [٣].

قلت: يدل على قوله ما في «صحيح مسلم» عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة» [٤].

قال مجاهد: الأحمر والأسود: الجن والإنس. وفي رواية من حديث أبي هريرة: «وبعثت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون» [٥].

قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِهِ﴾ أي بالداعي، وهو محمد ﷺ. وقيل: ﴿بِهِ﴾ أي بالله، لقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾. قال ابن عباس: فاستجاب لهم من قومهم سبعون رجلا، فرجعوا إلى النبي ﷺ فوافقوه بالبطحاء، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم [٦].

مسألة:

هذه الآي تدل على أن الجن كالإنس في الأمر والنهي والثواب والعقاب. وقال الحسن: ليس لمؤمني الجن ثواب غير نجاتهم من النار، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٧]. وبه قال أبو حنيفة قال: ليس ثواب الجن إلا أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا مثل البهائم [٨]. وقال آخرون: إنهم كما يعاقبون في الإساءة يجازون في الإحسان مثل الإنس [٩]. وإليه ذهب مالك والشافعي وابن أبي ليلي. وقد قال الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون

(١) متفق عليه : البخاري (٣٨٥٩) في مناقب الأنصار ، ومسلم (٤٥٠، ١٥٣) في الصلاة.
(٢) كذا بغير إسناد عند البغوي (٧/ ٣٩٠) في تفسيره ، ولم أجده مسندًا ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما .
(٣) فتح القدير (٦/ ٤٦٥) للشوكاني . (٤) متفق عليه : وقد سبق .
(٥) صحيح : انظر السابق . (٦) ذكره البغوي (٧/ ٢٧٠) في تفسيره بلا إسناد .
(٧ ـ ٩) انظر السابق تفسير بلا إسناد ، وللأهمية انظر :الأنوار البهية (٢/ ٢٢٢، ٢٢٣) السفاريني ، وطريق الهجرتين (٣٢٣، ٣٢٤) لابن قيم الجوزية .

ويشربون (١). قال القشيري: والصحيح أن هذا مما لم يقطع فيه بشيء، والعلم عند الله.

قلت: قوله تعالى ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الانعام: ١٣٢] يدل على أنهم يثابون ويدخلون الجنة، لأنه قال في أول الآية ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ إلى أن قال: ﴿ لِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الانعام: ١٣٠]. والله أعلم، وسيأتي لهذا في سورة «الرحمن» مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ﴾ أي لا يفوت الله ولا يسبقه ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾ أي أنصار يمنعونه من عذاب الله ﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ الرؤية هنا بمعنى العلم. و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي الرؤية. ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ احتجاج على منكري البعث. ومعنى ﴿لَمْ يَعْيَ﴾ يعجز ويضعف عن إبداعهن. يقال: عيَّ بأمره وعيي إذا لم يهتد لوجهه، والإدغام أكثر. وتقول في الجمع عيوا، مخففا، وعيوا أيضا بالتشديد. قال:

عَيُّوا بِأمرهمُ كما عَيّتْ ببيضتها الحمامهْ

وعييت بأمري إذا لم تهتد لوجهه. وأعياني هو. وقرأ الحسن «ولم يعي» بكسر العين وإسكان الياء، وهو قليل شاذ، لم يأت إعلال العين وتصحيح اللام إلا في أسماء قليلة، نحو غاية وآية. ولم يأت في الفعل سوى بيت أنشده الفراء، وهو قول الشاعر:

فكأنها بين النِّساء سَبِيكَةٌ تمشي بِسُدَّة بَيْتها فتُعِيّ

﴿بِقَادِرٍ﴾ قال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتوكيد كالباء في قوله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء: ١٦٦]، وقوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقال الكسائي والفراء والزجاج: الباء فيه خلف الاستفهام والجحد في أول الكلام. قال الزجاج: والعرب تدخلها مع الجحد تقول: ما ظننت أن زيدا بقائم. ولا تقول: ظننت أن زيدا بقائم. وهو لدخول «ما» ودخول «أن» للتوكيد. والتقدير: أليس الله بقادر، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾ [يس: ٨١]. وقرأ ابن مسعود والأعرج والجحدري وابن أبي إسحاق ويعقوب «يقدر» (٢) واختاره أبو حاتم، لأن دخول الباء في خبر «أن»

---

(١) انظر السابق.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٦٥).

قبيح. واختار أبو عبيد قراءة العامة، لأنها في قراءة عبدالله «خلق السموات والأرض قادر» بغير باء. والله أعلم.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي ذكرهم يوم يعرضون فيقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ فيقول لهم المقرر ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي بكفركم.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وقال ابن عباس: ذوو الحزم والصبر [١]. وقال مجاهد: هم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وهم أصحاب الشرائع [٢]. وقال أبو العالية: إن أولي العزم: نوح، وهود، وإبراهيم. فأمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أن يكون رابعهم [٣]. وقال السدي: هم ستة: إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين [٤]. وقيل: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى، وهم المذكورون على النسق في سورة «الأعراف والشعراء». وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه مدة. وإبراهيم صبر على النار. وإسحاق صبر على الذبح. ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر. ويوسف صبر على البئر والسجن. وأيوب صبر على الضر [٥]. وقال ابن جريج: إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم [٦]. وقال الشعبي والكلبي ومجاهد أيضا: هم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة [٧]. وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة «الأنعام» [٨] وهم ثمانية عشر: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط. واختاره الحسن بن الفضل لقوله في عقبه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وقال ابن عباس أيضا: كل الرسل كانوا أولي عزم. واختاره علي بن مهدي الطبري، قال: وإنما دخلت «من» للتجنيس لا للتبعيض، كما تقول: اشتريت أردية من البز وأكسية من الخز. أي اصبر كما صبر الرسل. وقيل: كل الأنبياء أولو عزم إلا يونس بن متى، ألا ترى أن النبي ﷺ نهي أن يكون مثله، لخفة وعجلة ظهرت منه حين ولى مغاضبا لقومه، فابتلاه الله بثلاث: سلط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله، وسلط الذئب على ولده فأكله، وسلط عليه الحوت فابتلعه؛ قاله أبو القاسم الحكيم.

(١ ـ ٤) ذكرها البغوي (٧/ ٢٧١) بلا إسناد.
(٥ ـ ٧) انظر السابق (٧/ ٢٧١)، وفتح القدير (٦/ ٤٦٧، ٤٦٨) للشوكاني.
(٨) عند الآيات (٨٣ ـ ١٨٦).

وقال بعض العلماء: أولو العزم اثنا عشر نبيا أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم، فأوحى الله إليهم الأنبياء أني مرسل عذابي إلى عصاة بني إسرائيل؛ فشق ذلك على المرسلين فأوحى الله إليهم اختاروا لأنفسكم، إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم نجيتكم وأنزلت العذاب ببني إسرائيل، فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي الله بني إسرائيل، فأنجى الله بني إسرائيل وأنزل بأولئك العذاب. وذلك أنه سلط عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر بالمناشير، ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم من صلب على الخشب حتى مات، ومنهم من حرق بالنار. والله أعلم. وقال الحسن [١]: أولو العزم أربعة: إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى، فأما إبراهيم فقيل له: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] ثم ابتلي في ماله وولده ووطنه ونفسه، فوجد صادقا وافيا في جميع ما ابتلي به. وأما موسى فعزمه حين قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. وأما داود فأخطأ خطيئته فنبه عليها، فأقام يبكي أربعين سنة حتى نبتت من دموعه شجرة، فقعد تحت ظلها [٢]. وأما عيسى فعزمه أنه لم يضع لبنة على لبنة وقال: إنها معبرة فاغبروها ولا تعمروها. فكأن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ: اصبر، أي كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق إبراهيم، واثقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى، مهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهدا في الدنيا مثل زهد عيسى. ثم قيل: هي منسوخة بآية السيف. وقيل: محكمة، والأظهر أنها منسوخة [٣]، لأن السورة مكية. وذكر مقاتل: أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم أحد، فأمره الله عز وجل أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم من الرسل، تسهيلا عليه وتثبيتا له. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ قال مقاتل: بالدعاء عليهم. وقيل: في إحلال العذاب بهم، فإن أبعد غاياتهم يوم القيامة. ومفعول الاستعجال محذوف، وهو العذاب. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ قال يحيى: من العذاب. النقاش: من الآخرة. ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ أي في الدنيا حتى جاءهم العذاب، وهو مقتضى قول يحيى. وقال النقاش: في قبورهم حتى بعثوا للحساب. ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ يعني في جنب يوم القيامة. وقيل: نساهم هول ما عاينوا من العذاب طول لبثهم في الدنيا. ثم قال: ﴿بَلَاغٌ﴾ أي هذا القرآن بلاغ، قاله الحسن. فـ ﴿بَلَاغٌ﴾ رفع على إضمار مبتدأ، دليله قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، وقوله ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]. والبلاغ بمعنى التبليغ. وقيل: أي إن ذلك اللبث بلاغ، قاله ابن عيسى، فيوقف على هذا على ﴿بَلَاغٌ﴾ وعلى ﴿نَّهَارٍ﴾. وذكر أبو حاتم أن بعضهم وقف على ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ ثم ابتدأ ﴿لَّهُمْ﴾ على معنى لهم بلاغ. قال ابن الأنباري: وهذا خطأ، لأنك قد فصلت بين البلاغ وبين اللام ـ وهي رافعة - بشيء ليس منهما. ويجوز في العربية: بلاغا وبلاغ، النصب على معنى إلا ساعة بلاغا، على المصدر أو على النعت للساعة. والخفض على معنى من نهار بلاغ. وبالنصب قرأ عيسى بن عمرو والحسن. وروي

(١) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٢٧١)، وفتح القدير (٦/ ٤٦٧، ٤٦٨) للشوكاني.

(٢) هذا باطل ولا يصح، وقد سبق.

(٣) الصواب أنها غير منسوخة والله أعلم، وكذا قال ابن الجوزي (ص٤٦٥) في نواسخ القرآن.

عن بعض القراء «بُلِّغ» على الأمر، فعلى هذه القراءة يكون الوقف على ﴿مِّن نَّهَارٍ﴾ ثم يبتدئ «بلغ». ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي الخارجون عن أمر الله، قاله ابن عباس وغيره. وقرأ ابن محيصن: «فهل يَهلك إلا القوم» على إسناد الفعل إلى القوم. وقال ابن عباس: إذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة ثم تغسل وتسقى منها، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ صدق الله العظيم. وعن قتادة: لا يهلك الله إلا هالكا مشركا [1]. وقيل: هذه أقوى آية في الرجاء. والله أعلم.

ختمت السورة بحمد الله وعونه، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار.

(١) صحيح: الطبري (٢٦/ ٣٩) في تفسيره

obeikandl.com